التاريخ: ١٤٣٩/٠٨/١٦هـ
الموافق: ٢٠١٨/٠٥/٠٢م

"ذلّل لنا الطريق"

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله.

(١)

- للإنسان أعداء ثلاثة، ولايزال الصراع قائماً حتى تفارق الروح الجسد؛ **الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء**.
- **المعصية** من الجِبلّة، ولولا ذاك لصافحتنا الملائكة، ففي حديث أبي هريرة مرفوعاً: (لكل بني آدم حظ من الزنى، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، والفم يزني وزناه القبل، والقلب يهوى ويتمنّى، والفرج يصدّق ذلك أو يكذبه).(رواه أحمد)
- استحضار رحمة الله وعفوه ومغفرته تكون في بعض الأحيان **شرارة المعصية**، مع تغييب كامل للعقوبة والاستدراج والمقت! ولا يزال المرء يسعى في زيغ نفسه حتى تُكتب عليه، {فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم}!
- تقتضي **الحيلة الشيطانية** إلى التدليل الشرعي في مَعرِض منازعة النفس اللّوامة بالحديث المرفوع: (انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم...)(رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة)، وهو استدلال مقلوب يهدف لتطبيع المعصية داخل النفس، واجتياز حصون الممانعة!
- مجاراة النفس والانصياع لرغباتها يسقط الإنسان في دوامة لا تنتهي، ففي حديث سهل بن سعد مرفوعاً: (إياكم **ومُحَقّرات الذنوب**، فإنما مثل **محقّرات الذنوب** كقوم نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود، حتى أنضجوا خبزتهم، وإن **محقّرات الذنوب** متى يُؤخذ بها صاحبها تهلكه).(رواه أحمد)
- أصبح شيوع **المنكر** بين الناس دليلاً من أدلة الاحتجاج، (والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس).(رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان)
- {يعلم **خائنة الأعين** وما تخفي الصدور}(سورة غافر) قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هو الرجل يكون بين الرجال، فتمرّ بهم امرأة فينظر إليها، فإذا نظر إليه أصحابه غضّ بصره!".(تفسير السمعاني ولم يسنده)
- من الاغترار أن يُسيء المرء ويُذنب، ثم يرى من خالقه إحساناً وستراً، فيُكيّفه بأنه دلالة العفو والصفح، والله تعالى يقول: **{من يعمل سوءً يجزبه}**(سورة النساء)، وأعظم العقوبة عدم الإحساس بها.

- **الفراغ**...فريسة مغرية لقوارض النفس، وحريق الهوى إذا ثار قلع ما وراءه!
- **أوقات الخلوات**...هي المعيار المنضبط لواقع الإنسان وخشيته، وهي المحكّ الحقيقي لمرآته الداخلية، ومن أخفى سريرة في خلوة ألبسه الله ثوبها! ولذا جاء الذم في الحديث: (ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها)!(رواه ابن ماجه من حديث ثوبان)
- {وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي}!(سورة إبراهيم) صراحة عدو الله نقضت **مبدأ الجبر في المعصية**!
- قرب المعاصي من الإنسان، فلا يمنعه من الوقوع إلا الهمّ والعزم، لا يقف أمام مدّه وجزره إلا **خشية الله ومراقبته** في السر. يقول ابن الجوزي: "لا ينال لذة المعاصي إلا سكران الغفلة، فأما المؤمن فإنه لا يلتذ؛ لأنه عند التذاذه يقف بإزائه علم التحريم، وحذر العقوبة".(صيد الخاطر)
- طوفان المعاصي المصاحب للانفجار المعلوماتي لا عاصم منه إلا الله، ومن تمادى وخاض كان المغرقين، **ومقارب الذنب لا يكاد يسلم**!
- تفعيل **"قانون الممانعة"** بالبُعد وعدم الاقتراب يُجهز على المعصية قبل استحكام حلقاتها، فالإيمان والخشية يمنعان تارة عند الهمّ، وتارة عند العزم، وتارة عند الفعل، ورصيد الإنسان السابق من الطاعة والخشية تقمع شهوة الذنب وتطفئها.
- **"الرقابة الذاتية"** هي الإحسان في إحدى صوره، (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك).(رواه مسلم من حديث عمر)
- {قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين}!(سورة المؤمنون) سؤال توبيخ ممزوج بمقت وسخط، وجوابه حينما يسمعه السامع {**قال إن لبثتم إلا قليلاً** لو أنكم كنتم تعلمون}! قال ابن كثير: "أي إنما كان لبثكم فيها قليلاً لو كنتم تعلمون لآثرتم الباقي على الفاني، ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف، قدمتم الحاضر الفاني على الدائم الباقي"!(تفسير ابن كثير)
- ثمة تلازم مطرد، واقتران لا ينفصل بين **المعصية والوحشة**، فالخطيئة وقصدها والعلاقة السببية بينهما؛ هو الانسجام المتناغم الذي يفسر الوجه العبوس المتواري خلف الأكمة، وهو الضنك الذي لا طب له!
- إن **للمعصية شؤماً وظلمةً** لا يدفعها إلا انطراح ومناجاة مشوبة بندم وإقرار، (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، ابوأ بنعمتك علي، وابوأ بذنبي؛ فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).(رواه البخاري من حديث شداد بن أوس)

❖ يقول ابن الجوزي: "رأيت أقواماً من المنتسبين للعلم أهملوا نظر الحق عز وجل إليهم في **الخلوات**، فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات، فكانوا موجودين كالمعدومين، لا حلاوة لرؤيتهم، ولا قلب يحن إلى لقائهم".(صيد الخاطر)

(٢)

❖ لم يخلق الله الخلق لئلا يُذنبوا، فقد جبلهم، إلا أن **خارطة الطريق** تكمن بالرجوع والإنابة بعد دنس الخطيئة، على غرار فعل الأب عليه السلام: {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم}(سورة البقرة)، ومن شابه أباه فما ظلم!

❖ من منا لم يُلمّ، أو يعزم، أو يتلطخ! **ليس في الدنيا طهورية مطلقة ونورانية لا دنس فيها!**

❖ **الاستتار** من مقاصد الشارع، والمستتر إلى الخلوص من رحم المعصية أقرب، وفي حديث أبي هريرة: (كل أمتي معافى إلا المجاهرون...).(رواه البخاري)

❖ **اتباع السيئة الحسنة** أصدق طريق لإظهار الندم، وركعتا التوبة والاعتراف ورفع أكف الضراعة هي أعلى الهرم لتحقيق الغاية، {إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً}(سورة الإسراء). وفي حديث أبي بكر مرفوعاً: (ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهر، فيحسن الطهور، ثم يستغفر الله عزَّ وجلّ إلا غفر له...).(رواه الترمذي)

❖ إذا انكسرت النفس وانطرحت، ثم اغرورقت العين بالدمع وفاضت، **فذاك دلالة الصدق**، وفي حديث أبي هريرة في السبعة الذين يظلّهم الله في ظلّه: (ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)(رواه البخاري ومسلم). وفي حديثه الآخر: (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع...)(رواه الترمذي). يقول القرطبي: "وفيض العين بكاؤها، وهو على حسب حال الذاكر، وبحسب ما ينكشف له من أوصافه تعالى، فإن انكشف له غضبه؛ فبكاؤه عن خوف، وإن انكشف له جماله وجلاله؛ فبكاؤه عن محبة وشوق".(المفهم)

❖ **صدقة الخفاء** بين يدي الانكسار، من جماليات التوبة وسموها، وفي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لبلال: (أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً).(رواه البزار والطبراني)

❖ **قاعدة الباب وجامعه** أن يتحول الذنب إلى حافز لارتقاء مدارج المقربين بالتقصير، وعلى قدر مجاهدة الذنب تقوى محبة الله للعبد، ويزيد تثبيته له، ثم يُسرِي محبته في قلوب خلقه؛ فتراهم محبين له معظّمين أينما حلّ، والأعمال إنما تكون بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، والجزاء على قدر الإخلاص.

- هنيئاً لمن مات ودُفنت معه ذنوبه! فالشأن كل الشأن أن يبقى **غرس المعصية** مسقياً بعناية الأجيال، حوكمة، وهيكلة، وبناء! {ليحملوا أوزاهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون}.(سورة النحل)
- علينا بالقلق واللَّجَإ والتضرع والانطراح، والتقوّت بالحزن، والتمزّز بكأس الدمع، والحفر بمعول الأسى قليب الهوى؛ فلعلنا نُنبِط من الماء ما يغسل جِرم الجرم، **والله عند ظن العبد به، فليظن ما شاء!**(صيد الخاطر)
- توبة من ورائها مغفرة تجبّ ما قبلها، هو الرجاء الذي لا يعدله شيء، ورحمة الله هي الوقود الذي لا ينضب لشوق لقائه، ففي الحديث: (لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله! قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا، **إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل**) ووضع يده على رأسه!!(رواه أحمد من حديث أبي هريرة)
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن رجلاً أذنب ذنباً فقال: رب، إني أذنبت ذنباً أو قال: عملت عملاً ذنباً؛ فاغفره. فقال عز وجل: عبدي عمل ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به، قد غفرت لعبدي. ثم عمل ذنباً آخر أو قال: أذنب ذنباً آخر فقال: رب، إني عملت ذنباً؛ فاغفره. فقال تبارك وتعالى: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به، قد غفرت لعبدي. ثم عمل ذنباً آخر أو أذنب ذنباً آخر فقال: رب، إني عملت ذنباً؛ فاغفره. فقال: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به، قد غفرت لعبدي. ثم عمل ذنباً آخر أو قال: أذنب ذنباً آخر فقال: رب إني عملت ذنباً؛ فاغفره. قال: عبدي علم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، **أشهدكم أني قد غفرت لعبدي، فليعمل ما شاء**).(رواه البخاري ومسلم)
- إتيان المعصية في قالب **الاعتراف والإقرار بالذنب**، خيرٌ من إتيانها مؤصلة مكيّفة بغطاء شرعي على طريقة أصحاب السبت!
- إنك إن تلقى الله مقرّاً وجلاً خائفاً، خير من أن تلقاه متحصّناً بغطاء **"الحيل"!**
- {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً **عسى الله أن يتوب عليهم** إن الله غفور رحيم}.(سورة التوبة)

يقول ابن القيم: "القلب في سيره إلى الله عزوجل بمنزلة الطائر"...

اللهم منك وإليك، لا سبيل إلا سبيلك، ولا طريق إلا طريقك، اللهم في سيرنا إليك "ذلّل لنا الطريق"!